كتوف

لمراثا الشعراء

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT

مجلد صالح الدقر
تلفون ٢٢٢٩٧٧

892.709
G198uA
c.2

أمراؤنا الشعراء

تأليف

عبد الله كنون

المطبعة المهدية - تطوان

هذا الكتاب

مؤلف باسم صاحب السمو الخليفة السلطاني المعظم
مولانا الحسن بن المهدي وبرسم خزانته القيمة
إذ كان هو رافع راية العروبة في
هذه المنطقة وعصام الدين
وراعي النهضة العلمية
بما يمدها به من عطف
وتشجيع
أدام الله
تاييده
وامين

وفيما يلي صورة الكتاب الكريم الذي تلقاه المؤلف من حضرته الشريفة جوابا عن تقديمه إليها هذا الامر الضئيل وهو نموذج رفيع من الانشاء الاندلسي البديع في ظننا انه قل في بلاطات البلاد العربية اليوم من ينسج على منواله

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله تعالى على سيدنا ومولانا محمد وآله وسلم

إنسان عين الفضل والنجابة ولسان صدق الإحسان والإصابة الفقيه العلامة الأديب
الخير عبد الله جنون وصل الله حبله بأعنة الصواب وأيد فضله بهدايات الحكمة ووصل الخطاب
تلقينا من كريمتك الصادرة عن الإبداع بسهم مصيب أنامل خزلة من كمول البراع بالعرض ومن قوة
العارضة بالتعصيب فتحها بعثت به آثار ملوك المغرب وأمرائه من مراسلهم وجمعت في
أبوابه من تقييدهم الأدبية بين أولها وسوالدها فكان لك الفضل في إحياء هذا الضرب من
الأدب العربي بعد اندراسه والتنويه عليه بصرف العزيمة حتى تحرك بعد خموده أنفاسه
والآخر فقد ناسبت براعتك بين ذهنه وناكبه وناسفت بين دوره الثمينة وكريم كبده وشاركت
به الذرية الأدبية في كرائم أبنائه ونجبة مواليده

كالغواني الكمر كل جنتي مستمتعي في زاهرات الرياض

شكر الله سعيك المبرور وخلد بحملك غرة في جبين الدهور والسلام عليك ورحمة الله وبركاته في 25 صفر عام 1361

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

يعجبني الموضوع ولو كان تافها اذا كان طريفا لم يعرض بعد في السوق. ولا اكره الي من الموضوع المبتذل أقرأه فاحرى أنشئه ولذا فاني افضل الكتابة القليلة مع الطرافة على الكتابة الكثيرة والابتذال.

وهذا الموضوع الذي بين يدي الان، لا شك في طرافته فانك لا تجد بين مجموعات الشعر الكثيرة، مجموعة تضم بين دفتيها شعر امراء بلد من البلاد العربية كالمغرب مثلا. وما صنعه الصولي من جمع شعر خلفاء بني العباس فهو خاص بشعر امراء دولة واحدة من الدول العربية لا يشرك معها غيرها. حتى كان الخليفة المستنصر الاموي الاندلسي يود من يؤلف له في شعر خلفاء بني امية مثل تاليف الصولي. وعلى ذلك فهو بخلاف موضوعنا هذا الذي يجمع شعر امراء الدول المتعاقبة على المغرب كلها بدون تخصيص

واعظم فائدة متوخاة من عمل هذا المجموع أن يرى فيه، من لا زال لم ير، جانبا من الانتاج الادبي المغربي الخصب الصادر عن طبقة هي من ابعد الناس عن الكتابة والشعر وصناعة القلم على

العموم لاشغالها بمهام الرياسة، وشؤون السياسة، وحفظ الثغور، وضبط الامور، وهي طبقة الامراء. فلعله بعد ذلك يسلم بما لابناء هذا القطر السعيد من النبوغ والعبقرية واستجماع اوصاف الكمال في كل مجال.

واذا كانت اقوال الامراء وافعالهم أميرة الاقوال والافعال فهذا شعرهم امير الشعر. لما فيه من الاخيلة البديعة والمعاني الرفيعة. والالفاظ المتخيرة، والاساليب المحررة، ولا تنس قصة ابن الرومي الذي قيل له لم لم تقل كعبدالله بن المعتز.

كان اذريوننا والشمس فيه كاليه
مداهن من فضة فيها بقايا غاليه

فقال هو لا يقدر ان يقول مثل قولي في وصف الرقاقة

ان انس لا انس خباز امرت به يدحو الرقاقة وشك اللمح بالبصر
ما بين رؤيتها في الكف دائرة وبين رؤيتها قوراء كالقمر
الا بمقدار ما تنداح دائرة في صفحة الماء يرمى فيه بالحجر

قال وكل منا يصف اواني بيته ـ ففي هذه القصة تقرير لتلك النظرية وهي ان شعر الملوك فى جوهره وعرضه غير شعر السوقة وان بينهما ما بين الطبقين من التفاوت وقديما حكم بهذا الامام (1) همام حيث يقول:

---

(1) نعني امام الشعراء في وقته همام بن غالب التميمي المعروف بالفرزدق، فلا يظن القارئ انه احد ايمة الدين، وهذا من تمليحات الادب. وللبيت قصة تطلب في مظانها.

وخير الشعر اكرمه رجالا وشر الشعر ما قال العبيد

ثم هذا لا ينفى ان يكون في بعض هذه الاشعار التي نرويها ضعف او تخلف، فان الامراء على رفعة قدرهم كالناس، فيهم المصلي والمجلي، والموفي على الغايات والمستولي، ومن حسب الناس طبعا واحدا فهو خلو من العلم براء من الذكاء.

وهذه هي الاشعار مرتبة بترتيب الدول، الاولى فالاولى والامراء الاول فالاول، وبالله التوفيق وعليه المعول.

الدولـة الادريسـية

من شعر الامام إدريس بن إدريس بـن عبد الله رضي الله عنه يخاطب بهلول بن عبد الواحد المضغري، وكان من خاصته واركان دولته فاستماله ابن الاغلب صاحب افريقية حتى بـايع للوشيد:

ابهلول قد حملت نفسك خطة تبدلـت منهـا ضلـة برشـاد
اضلك ابراهيم مع بعد داره فاصبحت منقـادا بغيـر قيـاد
كانك لم تسمع بمكر ابن اغلب وقدما رمى بالكيد كل بلاد
ومن دون ما منتك نفسك خاليا ومناك ابراهيم شـوك قتاد

وكان ابن الاغلب قد دس الى راشد مولى ادريس الـذي كفلـه منذ ولادته، من قتله غيلة وقال في ذلك:

الم ترني بالكيد اردیت راشدا واني باخرى لابن ادريس راصد
تناوله عزمي على بعـد داره بمحتومة يحظى بها من يكايد

فهذا الذي يشير اليه مولانا ادريس من كيد ابن الاغلب ومكره

وكتب الى ابراهيم بن الاغلب يدعوه الى طاعته والكف عن ناحيته ويذكر قرابته من الرسول صلى الله عليه وسلم وفي اسفل كتابه:

اتذكر ابراهيم حق محمد وعترته والحق خير مقول
وادعوه للامر الذي فيه رشده وما هو لولا رأيه بجهول
فان اثر الدنيا فان امامه زلازل يوم للعقاب طويل

ومن شعره الذي يدل على كرم نفسه ولطف حسه:

لو مد صبري بصبر الناس كلهم لكل في روعتي او ضل في جزعي
بان الاحبة فاستبدلت بعدهم هما مقيما وشملا غير مجتمع
كانني حين يجري الفكر ذكرهم على ضميري مجبول على الفزع
تاوي همومي اذا حركت ذكرهم الى جوانح جسم دائم الهلع

هذه الابيات وقع فيها اختلاف في اللفظ وزيادة تركناها لعدم انسجام المعنى بها. ومن اللطائف الادبية ما حدث به داود بن القاسم بن عبد الله بن جعفر الاوربي قال شهدت مع ادريس بن ادريس بعض غزواته للخوارج الصفرية من البربر فلقيناهم وهم ثلاثة اضعافنا فلما تقارب الجمعان ترجل ادريس فتوضأ وصلى ركعتين ودعا الله تعالى ثم ركب فرسه وتقدم للقتال، فقاتلناهم

قتالا شديدا فكان ادريس يضرب في هذا الجانب مرة ثم يكر في الجانب الآخر فلم يزل كذلك حتى ارتفع النهار فرجع الى رايته فوقف بازائها والناس يقاتلون بين يديه. فطفقت انظر اليه وأديم الالتفات نحوه وهو تحت ظلال البنود يحرض الناس ويشجعهم فاعجبني ما رأيت من شجاعته وقوة بأسه. فالتفت نحوي فقال ياداود! ما لي اراك تديم النظر إلي؟ قلت ايها الامام انه اعجبني منك خصال لم ارها في غيرك قال وما هي ياداود؟ قلت اولها ما اراه من حسنك وجمالك وثبات قلبك ومن طلاقة وجهك وما خصصت به من البشر عند لقاء عدوك قال ذلك بركة جدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعائه لنا وصلاته علينا واراثة ابينا علي بن ابي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه قلت ايها الامام اراك تبصق بصاقا مجتمعا وانا اطلب الريق في فمي فلا اجده قال ياداود! ذاك لاجتماع عقلي وثبات جاشي، وعدم الريق من فيك لطيش لبك وافتراق عقلك ولما خامرك من الرعب. قال فقلت ايها الامام وانا ايضا اتعجب من كثرة تقلبك في سرجك وقلة قرارك في موضعك قال ذاك مني زعم للقتال وعزم وصرامة وهو احسن في الحرب فلا تظنه رعبا

ثم انشأ يقول:

اليس ابونا هاشم شد أزره واوصى بنيه بالطعان وبالضرب
فلسنا نمل الحرب حتى تملنا ولا نشتكي مما يؤول الى النصب
ولاكننا اهل الحفائظ والنهى اذا طار ارواح الكماة من الرعب

ولهذا الامام اثار نثرية بليغة منها خطبته التي قالها باثر مبايعته وهو ابن 11 سنة وهي:

الحمد لله احمده واستعينه واستغفره واتوكل عليه واعوذ به من شر نفسي ومن شر كل ذي شر. واشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله ارسله الى الثقلين بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا صلى الله عليه وسلم وعلى اله بيته الطاهرين الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.

ايها الناس انا قد ولينا هذا الامر، الذي يضاعف المحسن فيه الاجر، والمسيء الوزر، ونحن والحمد لله على قصد جميل فلا تمدوا الاعناق الى غيرنا، فان ما تطلبونه من اقامة الحق انما تجدونه عندنا.

ولما فرغ من بناء مدينة فاس وحضرت الجمعة الاولى صعد

المنبر وخطب الناس ثم قال: اللهم انك تعلم اني ما اردت ببناء هذه المدينة مباهاة ولا مفاخرة، ولا سمعة ولا مكابرة، وانما اردت ان تعبد فيها ويتلى كتابك وتقام حدودك وشرائع دينك وسنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ما بقيت الدنيا. اللهم وفق سكانها وقطانها للخير واعنهم عليه، واكفهم مؤونة اعدائهم وادر عليهم الرزق واغمد عنهم سيف الفتنة والشقاق انك على كل شيء قدير.

وللامير القاسم بن ادريس، لما خرج عيسى بن ادريس على اخيه محمد، وكتب له محمد يامره بحرب عيسى فامتنع وقال معتذرا عن ذلك:

ساترك للواغب الغرب نهبا وان كنت في الغرب قيلا وندبا
واسمو الى الشرق في همة يعز بها رتبا من احبا
واترك عيسى على رأيه يعالج في الغرب هما وكربا
ولو كان قلبي على قلبه لكنت له في القرابة قلبا
وان احدث الدهر من ريبه شقاقا علينا واحدث حربا
فاني ارى البعد سترا لنا يجدد شوق لدينا وحبا
ولم نجن قطعا لارحامنا نلاقي به اخر الدهر عتبا

وتبقى العداوة في عقبنا واكرم به حين نعقب عقبا
واوفق من ذاك جوب الفلاة وقطع المخارم نقبا فنقبا

وتعجبني هذه الابيات ويسمو القاسم بها في نفسي سموا لا حد له فمن ناحية البلاغة اراها في الذروة العليا نصاعة لفظ ومتانة تركيب وانسجام معنى ومن ناحية القصد والغرض اراها تعبر عن نفس كبيرة وهمة عالية مترفعة عن سفاسف الحياة ومهازلها التي تقطع الارحام وتجلب الموت الزؤام ويباليت الاشراف كلهم كانوا كذلك. ومعلوم ان القاسم كان واليا على طنجة من قبل اخيه محمد وانه زهد في الولاية لما نشب النزاع بين ابناء ادريس وانقطع للعبادة رحمه الله ومن شعر ابراهيم بن ادريس المدعو الموبل وكان قد سكن قرطبة الى ان اخرجه المنصور بن ابي عامر من الاندلس فيمن اخرجه من اهل بيته بعد قتل الحسن بن كنون كبيرهم وهذا قوله يخاطب المروانية ويهجو المنصور:

فيما ارى عجبا لمن يتعجب جلت مصيبتنا وضاق المذهب
اني لاكذب مقلتي فيما أرى حتى اقول غلطت فيما احسب
ايكون حيا من امية واحد ويسوس هذا الملك هذا الاحدب

تمشي عساكرهم حوالي هودج اعواده فيهن قرد اشهـــب
ابني امية اين اقمار الدجى منكم وما لوجوهها تتغيب

والعجب من علوى يمدح المروانية. وله في هذا الوزن قصيدة طويلة يمدح بها مؤيد الدولة هذيل بن خلف بن رزين صاحب القلاع يقول في اولها:

للسيف في تعذيب نفسي مذهب ولنائبات الدهر عندي مطلب
اما ديون الحادثات فانهـــا تاتي لوقت صادق لا تكذب
ايقنت اني للرزايا مطعـــم ودمي لوافدة المكاره مشرب
فانا من الافات عرض سالم وجوانح تكوى وعقل يذهب

دولتا زناتة ولمتونة

لم يرو لنا التاريخ أثرا شعريا عن امراء هذين الدولتين ونظن انه لم يصدر عنهم شيء من هذا القبيل لغلبة العجمة وعدم استقرار الاحوال في ايامهم حتى يتثقفوا ويتادبوا.

ولاكن بعض كلمات شاعرة تزري بقصائد طويلة أثرت عن بعضهم، ونحن نذكرها هنا رعيا للمناسبة وجمعا للشوارد فمنها ما روى عن زيري بن عطية من امراء الدولة الاولى وقد استدعاه المنصور بن ابي عامر لزيارة قرطبة، فسار الى الاندلس وقدم بين يديه هدية عظيمة من جملتها طائر فصيح يتكلم بالعربية والبربرية، ودابة من دواب المسك ومهاة وحشية تشبه الفرس، وحيوانات غريبة، وأسدان عظيمان في قفصين من حديد، وشيء كثير من التمر في غاية الكبر الواحدة منها تشبه الخيارة عظما. وحمل معه من قومه وعبيده ثلاثمائة فارس وثلاثمائة راجل فاحتفل المنصور لقدومه احتفالا عظيما وبرز الخاصة والعامة للقائه وانزله بقصر جعفر الحاجب وتوسع له في الجرايات والاكرام ولقبه باسم الوزير وافاض عليه اموالا جساما وعجل

بسراحه الى عمله بعد ان جدد له عهده على المغرب وعلى جميع ما غلب عليه منه.

فعبر البحر واحتل بمدينة طنجة فلما استقر بها وضع يده على رأسه وقال: الان علمت انك لي. فاستقل ما وصله به المنصور واستقبح اسم الوزارة الذي سماه به ولقد خاطبه به بعض رجاله فنهاه عن ذلك وقال: وزير من بالكم؟ لا والله الا امير ابن امير! واعجبا لابن ابي عامر ومخرقته! لان تسمع بالعبدي خير من ان تراه. والله لو كان بالاندلس رجل ما تركه على حاله.

ومنها ما روى عن يدو بن يعلى من امراء هذه الدولة ايضا وقد استدعاه المنصور بن ابي عامر كما استدعى زيري وعانس يدو منه الغدر فلم يجبه وقال: متى عهد المنصور حمر الوحش تنقاد للبياطرة؟... ومنها ما روي عن امير المسلمين يوسف بن تاشفين من ملوك دولة لمتونة وقد كتب اليه الفونس السادس ملك قشتالة يهدده ويتوعده. وكان علم باستدعاء ملوك الطوائف له مستنجدين به عليه فاجابه كاتبه برسالة طويلة يرد عليه اقواله ومزاعمه. فلما قرئت على يوسف استطالها ووقع له على ظهر كتابه «الجواب ما ترى لا ما تسمع» فعرف انه بلي برجل يفعل

ولا يقول. وعبر امير المسلمين الى الاندلس واوقع بها واقعة الزلاقة المشهورة التي كتب بها للاندلس حياة جديدة في ظل الاسلام والعروبة قدر حياتها السابقة.

فهذه العبارات وان لم تكن جارية على قانون الشعر ولا موزونة بعروضه فهي من معناه في الصميم. وما احوج الشعراء الى تناولها وعرضها كما يقتضى الفن، فانهم يخرجون منها قصائد طنانة في الحماسة والفخر وعزة النفس والاباء.

نعم فان للامير ابي بكر بن ابراهيم المسوفي المعروف بابن تافلويت صهر علي بن يوسف بن تاسفين طبعا اديبا رقيقا وحيث ان مسوفة من صنهاجة التي اليها مرجع اللمتونيين وهو كان صهرهم ووالياً لهم على تلمسان وعلى سرقسطة فانا نحلي ببعض شعره هذه الصحيفة ونجعله مسك الختام لهذه الدولة، قال في سيف هزه علي بن يوسف المذكور ارتجالا:

هززت حساما فشبهته غديرا من الماء لاكن جمد
فلما بدا لي افرنده لهيبا من النار لاكن خمد
فلولا الجمود ولولا الخمود لسال لدى الهز اولا تقد

وهو بديع لاكن فيه حذف جواب لما ولا يتم حسنه الا بتقديره.

دولة الموحدين

من شعر داعيتهم القائم بامرهم المهدي بن تومرت قوله:

اخذت بـاعضـادهم اذ نأوا وخلفك القوم اذ ودعـــوا
فكم انت تنهى ولا تنتهي وتسمع وعظا ولا تسمـــع
ايـا حجر السن حتى متى تسن الحديد ولا تـقطـــع

ومنه في عبد المومن نسبهما له في القرطاس وغيره:

تجمعت فيك اشياء خصصت بها فكلنا بك مسرور ومغتبط
السن ضاحكة والكف مانحة والصدر متسع والوجه منبسـط

والصواب انه تمثل بهما فيه وهما لابي الشيص الخزاعي.

وكان المهدي اديبا كامل الادوات مولعا بشعر المتنبي. ولولا اشتغاله بتوطيد قواعد الملك لانى منه شاعر عبقري. وله ءاثار نثرية من كتب وخطب معروفة ولعبد المومن بن علي اول خلفائهم الذي وحد اقطار الشمال الافريقي والاندلس يستنفر العرب من بني هلال للجهاد:

أقيموا الى العلياء هوج الرواحل وقودوا الى الهيجاء جرد الصواهل
وقوموا لنصر الدين قومة ثائر وشدوا على الاعداء شدة صائل

فما العز الا ظهو اجرد سابح يفوت الصبا في شده المتواصل
وابيض ماثور كأن فرنده على الماء منسوج وليس بسائل
بني العم من عليا هلال بن عامر وما جمعت من باسل وابن باسل
تعالوا فقد شدت الى الغزونية عواقبها منصورة بالاوائل
هي الغزوة الغراء والوعد الذي تنجز من بعد المدى المتطاول
بها يفتح الدنيا بها يبلغ المنى بها ينصف التحقيق من كل باطل
اهبنا بكم للخير والله حسبنا وحسبكم والله اعدل عادل
فما همنا الاصلاح جميعكم وتسريحكم في ظل اخضر هاطل
وتسويغكم نعمى ترف ظلالها عليكم بخير عاجل غير عاجل
فلا تتوانوا فالبدار غنيمة والمدلج الساري صفاء المناهل

ولا يخفى ما فيه من متانة ورصانة وما يدل عليه من قوة نفس، وشدة باس، مع حسن السياسة وحكمة التدبير وليس ذلك بغريب من عبد المومن.

قال في المعجب واخبرني السيد (1) حقيقة والماجد خلقا وخليقة ابو زكرياء يحيى بن الامام امير المومنين ابى يعقوب بن الامام امير المومنين ابي محمد عبد المومن بن علي انه رأى على

(1) كان لفظ السيد في ايام الموحدين خاصا بالامراء من ولد عبد المومن فلهذا يقول فيه السيد حقيقة

ظهر كتاب الحماسة بخط الخليفة عبد المومن بن علي هذين البيتين وقال لي رحمه الله لا ادرى هما له او لغيره:

وحكم السيف لا تعبأ بعاقبة وخلها سيرة تبقى على الحقب
فما تنال بغير السيف منزلة ولا ترد صدور الخيل بالكتب

ونحن نقول انهما ان لم يكونا له فما اشفهما عن نفسه واصدقهما تعبيرا عن حقيقته.

وله المساجلة المشهورة بينه وبين وزيره ابي جعفر بن عطية لما كانا مارين ببعض طرق مراكش فاطلت من شباك جارية بديعة الجمال تبتدر النظر الى الخليفة فقال:

قدت فؤادي من الشباك اذ نظرت

فاجاز الوزير: حوراء ترنو الى العشاق بالمقل

فقال عبد المومن: كانما لحظها في قلب عاشقها

واجاز الوزير ايضا: سيف المؤيد عبد المومن بن علي

وكان عبد المومن مغرما بالادب شغوفا بالشعر بصيرا بجيده نقادة لرديئه. فلما كان بجبل الفتح وهو جبل طارق، سماه بهذه التسمية الشعرية عبد المومن نفسه، ووفدت عليه وجوه اهل الاندلس ورؤساؤها للبيعة. جلس للناس في يوم مشهود فقال

الشعراء في ذلك قصائد فذة. قال في المعجب وانشده في ذلك اليوم رجل من ولد الشريف الطليق المرواني، كان شريفا من جهة امه:

ما للعدا جنة اوقي من الهرب

فقال عبد المومن رافعا بها صوته: إلى اين؟ فقال الشاعر

اين المفر وخيل الله في الطلب

...وانشده في ذلك اليوم رجل من اهل اشبيلية يعرف بابن سيد ويلقب باللص:

غض عن الشمس واستقص مدى زحل وانظر الى الجبل الراسي على جبل

انى استقر به انى استقل به انى رأى شخصه العالي فلم ينزل

فقال له عبد المومن لقد اثقلتنا يا رجل!

ولما قتل وزيره ابا جعفر بن عطية امتحن الشعراء بهجوه فلما اسمعوه ما قالوا اعرض عنهم وقال ذهب ابن عطية وذهب الادب معه.

فهذه اقوال كلها تدل على ما لعبد المومن من ذوق ادبي راق، وملكة نقدية راسخة. وتعجبني واقعة حال جرت له مع وزيره ابي جعفر المذكور وهي وان لم يكن فيها شعر فان فيها

تخييلا شعريا جميلا ينم عن ميول كل من هذين الشخصيتين الادبية، وهي ما حكاه ابو جعفر قال:

دخلت على عبد المومن وهو في بستان له قد اينعت ثماره، وتفتحت ازهاره، وتجاوبت على اغصانها اطياره، وتكامل من كل جهة حسنه وهو قاعد في قبة مشرفة على البستان فسلمت وجلست وجعلت انظر يمنة ويسرة متعجبا مما ارى من حسن ذلك البستان. فقال لي يا ابا جعفر اراك تطيل النظر الى هذا البستان. قلت يطيل الله بقاء امير المومنين والله ان هذا المنظر حسن. فقال يا ابا جعفر المنظر الحسن هذا؟ قلت نعم، فسكت عني.

فلما كان بعد يومين او ثلاثة امر بعرض العسكر واخذي اسلحتهم وجلس في مكان مطل وجعلت العسكر تمر عليه قبيلة بعد قبيلة، وكتيبة اثر كتيبة لا تمر كتيبة الا والتي بعدها احسن منها جودة سلاح وفراهة خيل وظهور قوة. فلما رأى ذلك التفت الي وقال يا ابا جعفر، هذا هو المنظر الحسن لاثمارك واشجارك! واخباره في قوة الحساسية وتوقد الشعور كثيرة معروفة.

ولابنه الامير ابي عمران، وكان استخلفه اخوه يوسف على مراكش فاعتل وغاب ثلاثة ايام لم يره احد، فكتب اليه القاضي ابو يوسف حجاج:

يغيب البدر يوما ثم يبدو وانت تغيب عن عيني ثلاثا
لئن بلغت ثلاث لا اراكم فلست بمدرك يوم الثلاثا

فاجابه الامير ابو عمران بديهة:

اتتنا منكم درر فجلت عجالي اوجبت منا انبعاثا
ولولا العذر من سبب قوى لسرنا نحوكم عزما حثاثا
ولاكني اسير بحال ود اليكم مصبحا يوم الثلاثا

وكان هذا السيد من نجباء ابناء عبد المومن وفضلائهم نقل في المعجب هذه الحكاية من خط يديه عن والده عبد المومن انه مر في طريقه بين البطحاء (1) وتلمسان عند قفوله من افريقية (2) بموضع قد التف فيه الدوم فجاء منه دوحة عظيمة في وسطها رحبة نقية فامر ان يضرب خباؤه هنالك وهو غير منزل معروف فلما نزل ونزلت العساكر واستقر بهم النزول

(1) هي مدينة بقرب شلف جددها عبد المومن بعد الخراب فكانت تنسب اليه
(2) يعني تونس

قال لبعض خواصه اتدرون لم اثرت النزول بهذا المكان؟ قالوا لا. قال ذلك لاني بت بهذا الموضع في بعض الليالي جائعا مقرورا وكانت ليلة ممطورة فما زال هذا الهوم وقائي حتى اصبحت فاردت النزول هنا على هذه الحالة لاشكر الله سبحانه على الفرق ما بين المنزلتين والفصل ما بين المبيتين. ثم قام فتوضأ وصلى ركعتين شكرا لله عز وجل.

اوردت هذه الحكاية لزيادة التعريف بكاتبها اذ كان مجهول الترجمة تقريبا.

ومن شعر يعقوب المنصور واسطة عقد خلفائهم الذي اغنى ذكره عن التعريف به يخاطب العرب وقد لفوا لفهم مع ابن غانية وقرقوش مولى بني ايوب في الشغب عليه بافريقية:

يا ايها الراكب المزجى مطيته على غدافرة تشقى بها الاكم
بلغ سليما على بعد الديار بها بيني وبينكم الرحمن والرحم
يا قومنا لا تشبوا الحرب ان خمدت واستمسكوا بعرى الايمان واعتصموا
كم جرب الحرب من قد كان قبلكم من القرون فبادت دونها الامم
حاش الاعارب ان ترضى بمنقصة ياليت شعري هل تراهم علموا

يقودهم ارمني (1) لا خلاق له كأنه بينهم من بينهم علم
الله يعلم أني ما دعوتكم دعاء ذي قوة يوما فينتقم
ولا لجأت لامر يستعان به من الامور وهذا الخلق قد علموا
لكن لاجزي رسول الله عن نسب ينمى اليه وترعى تلكم الذمم
بإن أتيتم فحبل الوصل متصل وان ابيتم فعند السيف نحتكم

وكان المنصور فوق أعماله الخالدة عالما أديبا وخطيبا مفوها له فتاوي فقهية مبنية على الاجتهاد وكتاب في الحديث سماه الترغيب، واذا أراد غزوا تولى بنفسه تحريض الجيش بالخطب الحماسية والكلمات المؤثرة، وكان يحب الشعر ويثيب على المدح كثيرا الا ذات مرة لما رجع من غزوة الارك الشهيرة أخت الزلاقة في العظمة، فورد عليه وفود المهنئين والشعراء من كل جهة فكان كل واحد منهم ينشد من قصيدته بيتا او بيتين لكثرتهم ويترك رقعتها أمامه، فما استتموا الانشاد حتى حالت رقاع القصائد بينه وبين الناس ولم يجز احداً حينئذ وقال: «منع الجميع ارضى الجميع»

وله مثل هذه كل كلمة بليغة تطبق المفصل ولا تترك

(1) هو قرقوش المشار اليه.

بعدها لقائل مقالا، فمنها أن الفنش تهدده قبل عبوره لوقعة الارك المذكورة فمزق كتابه وقال لرسوله (ارجع اليهم فلناتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون) إن شاء الله ثم وقع له على قطعة من كتابه الممزق: «الجواب ما ترى لا ما تسمع»

فلا كتب الا المشرفية والقنا ولا رسل الا الخميس العرمرم

ومنها أن قوما من بلاد السودان اهدوا اليه فيلا فأمر لهم بصلة ولم يقبله منهم وقال: «نحن لا نريد ان نكون اصحاب الفيل»

وطلب من بعض اعيان دولته رجلين لتأديب ولده يكون احدهما برا في عمله والاخر بحرا في علمه فجاءه بشخصين زعم انهما على وفق مراده، فلما اختبرهما لم يجدهما كما وصفا فكتب الى الآتي بهما: (ظهر الفساد في البر والبحر) وناهيك بهذا دليلا على قوة فطنته ومعرفته

ومما يدل على نضجه الادبي ان الشاعر المجيد ابا بكر ابن مجبر انشد والده يوسف بن عبد المومن قصيدة يهنيه فيها بفتح منها:

ان خير الفتوح ما جاء عفوا مثلما يخطب الخطيب ارتجالا

وكان ابو العباس الجراوي الشاعر حاضرا فقطع عليه قوله وقال: ياسيدنا اهتدم بيت وضاح:

خير شراب ما كان عفوا كأنه خطبة ارتجال

فبدر يعقوب المنصور وهو حينئذ وزير ابيه وسنه قريب العشرين وقال إن كان اهتدمه فقد استحقه لنقله اياه من معنى خسيس الى معنى شريف. فسر ابوه بجوابه وعجب الحاضرون. واقواله في هذا الباب كثيرة.

ومن شعر الامير ابي الربيع سليمان بن عبد الله بن عبد المومن قصيدة يمدح فيها ابن عمه يعقون المنصور:

هبت بنصركم الرياح الاربع وجرت بسعدكم النجوم الطلع
واستبشر الفلك الاثير تيقنا ان الامور الى مرادك ترجع
وأمدك الرحمن بالفتح الذي ملا البسيطة نورها المتشعشع
لم لا وانت بذلت في مرضاته نفسا تفديها الخلائق اجمع
ومضيت في نصر الاله مصمما بعزيمة كالسيف بل هي اقطع
وكتائب منصورة يحذو بها عزم اذا امضيته لا يرجع
ملئت بها ارجاء كل تنوفة حتى حسبنا ارضها تتصدع
من كل من تقوى الاله سلاحه ما ان له غير التوكل مفزع

لا يسلمون الى النوازل جارهم ... يوما اذا أضحى الجوار يضيع
لله جأشك والصوارم تنتضى ... والخيل تردى والاسنة تشرع
كم من قصي الدار عاص قاده ... حتف يخب به اليك ويوضع
ان ظن أن فراره منجح له ... فبجهله قد ظن ما لا ينفع
أين المفر ولا فرار لهارب ... والارض تنشر في يديك وتجمع
اخليفة الله الرضى هنيتـــه ... فتحا يمد به سواه ويشفع
فلقد كسوت الدين عزا شامخا ... ولبست منه انت ما لا يخلع
هيهات سر الله اودع فيكم ... والله يعطي من يشاء ويمنع
لكم الهدى لا يدعيه سواكم ... ومن ادعاه يقول ما لا يسمع
ان قيل من خير الخلائق كلها ... فاليك يا يعقوب تومي الاصبع
ان كنت تتلو السابقين فانما ... أنت المقدم والخلائق تتبع
خذها امير المومنين مديحة ... من قلب صدق لم يشنه تصنع
واسلم امير المومنيـــن لامة ... أنت الملاذ لها وانت المفزع
فالمدح منى في علاك طبيعة ... والمدح من غيري اليك تطبع
وعليك يا علم الهداة تحيـة ... يفنى الزمان وعرفها يتضوع

وكتب اليه وهو بحال هجر منه وكانت وفدت عليه وفود العرب والغز من بلاد المشرق واستأذنوا في الدخول عليه

يا كعبة الجود التي حجت لها عرب الشام وغزها والديلم
طوبى لمن أمسى يطوف بها غدا ويحل بالبيت الحرام ويحرم
ومن العجائب أن يفوز بنظرة من بالشام ومن بمكة يحرم

فعفا عنه وأحسن اليه وأمره بالدخول بهم والتقدم عليهم.

وله في جارية اسمها الوف:

خليلي قولا اين قلبي ومن به وكيف بقاء المرء من بعد قلبه
ولو شئتما إسم الذي قد هويته تصحفتما امري لكم بعد قلبه

وله في النسيب:

أقول لركب ادلجوا بسحيرة قفوا ساعة حتى ازور ركابها
واملا عيني من محاسن وجهها وأشكو اليها ان أطالت غيابها
فإن هي جادت بالوصال وأنعمت والا فحسبي إن رأيت قبابها
وقفت بها أشكوا وأسكب عبرة على غير بين ما علمت انسكابها
فأومت برخص من بنان مخضب وحطت عن البدر المنير نقابها
وقالت أيبكي البين من قد أراده ويشكو النوى من قد أثار غرابها
ولما تناءت دارها وتباعدت وعاقت على بعد المزار خطابها
كتبت اليها أشتكي الم النوى لعلي أرى يوما الي كتابها
وكنت أرى أن الجواب تملل فقد زاد مابي ان رأيت جوابها

وله في الطيف

يا أيها الطيف خبر ما للحبيب لدينا
واقر السلام عليه منا ومنه الينا
وقل له غاب قلبي وأنت تعلم أينا
فاردد علي فؤادي يا أمطل الناس دينا

وله في صفة الروض والحث على الشراب

تنبه ترى ديمة تمطر ووجه الصباح لنا يسفر
وكالند لكن كافوره بدا فيه واكتتم العنبر
على حين فل الدجى مدبر وللصبح في اثره عسكر
وبين الغمام ومطوره من الروض كالحرب أو اكثر
اذا التاح من برق ذا أبيض تأطر من غصن ذا أسمر
والقطر في جيد غض النقا لآل من الماء او جوهر
وفي عاتق الروض من سيفه نجاد ولكنه اخضر
كأن الرذاذ على زهره يفت من السكر أو ينثر
وما عبق الروض طيبا لنا ولكنه للحيا يشكر
تنبه الى شرب مشمولة يطوف علينا بها جؤذر
يدل صفاها واشراقها على ان من خده تعصر

فيا عاشقين على رسلكـــم من الشرب ساقيكم أحور
متى تستفيقون من سكر من اذا فنيت خمره ينظو

وله في فسقية

انظر اليها وقد سالت جوانبها بالماء سيلا خفيفا دمعه يكف
كأنها مقلتي يوم الوداع وقد لاح الرقيب فلا تجري ولا تقف

وله في التوبة والدعاء

اذا ما ذكرت الله فاضت مدامعي على كل مافرطت فيض السحائب
واذكر يوم الحشر ان جئته غدا وذنبي معي والذنب اخبث صاحب
ولكن أرجي الله في كل حالة وأخشى بما قدمت سوء العواقب
فيا خير من يدعى لكل ملمة وأكرم من يرجى لنيل الرغائب
اقل عثرتي اني اتيتك تائبا وليس مقيم في الذنوب كتائب

وابو الربيع هذا كان والي بجاية ثم سجلماسة وهو نابغة بني مومن لم يكن فيهم مثله في هذا الشأن كما قال صاحب المغرب وكان كاتبا شاعرا اديبا ماهرا وشعره مدون جمعه كاتبه ابن عبد ربه المالقي وله مختصر الاغاني. ومن آثاره النثرية رسالة الى ملك السودان ينكر عليه تعويق التجار:

«نحن نتجاور بالاحسان وان تخالفنا فى الاديان ونتفق

على السيرة المرضية ونتألف على الرفق بالرعية ومعلوم أن العدل من لوازم الملوك في حكم السياسة الفاضلة والجور لا تعانيه الا النفوس الشريرة الجاهلة وقد بلغنا احتباس مساكين التجار ومنعهم من التصرف فيما هم بصدده وتردد الجلابة الى البلد مفيد لسكانها ومعين على التمكن من استيطانها ولو شئنا لاحتبسنا من في جهتنا من أهل تلك الناحية، لكنا لا نستصوب فعله، ولا ينبغي ان ننهى عن خلق وناتي مثله والسلام»

ووقع الى عامل له كثرت الشكاوي منه: «قد كثرت فيك الاقوال، واغضائي عنك رجاء أن تتيقظ فتنصلح الحال، وفي مبادرتي الى ظهور الانكار عليك نسبة الى شر الاختيار، وعدم الاختبار، فاحذر فانك على شفا جرف هار» الى غير هذا من محاسنه وقد اوعبنا في ترجمته في (الذكريات)

وللامير ابي الحسن علي بن عمر بن امير المومنين عبد المومن يمدح المنصور ويطلب منه ما يقضي به ديونه:

وجوه الامـــاني بكم سفره وضاحكة لي مستبشـــرة
ولي أمل فيكـــم صادق قريـــب عسى الله ان يسوه
علي ديون وتصحيفهـــا وعندكم الجـــود والمغفرة

يعني ذنوب قال الناجح ابن حموية السرخسي في رحلته حدثني الشيخ ابو الحسن بن فشتال الكاتب وقد انشدته:

اوحشتني ولو اطلعت على الذي لك في ضميري لم تكن لي موحشا

فقال انشدت هذا البيت في مجلس السيد ابي الحسن فقال لي ولمن حضر هل تعرفون لهذا البيت ثانيا؟ فما فينا من عرفه فأنشدنا:

اترى رشيت على اطراح مودتي ولقد عهدتك ليس تثنيك الرشا

اوحشتني البيت.

وقال في المغرب كان هذا السيد ابو الحسن قد ولى مملكة تلمسان وبجاية وله حكايات في الجود بوركية ونفس عالية زكية كتب اليه السيد ابو الربيع يوم جمعة:

اليوم يوم جمعه يوم سرور ودعه

وشملنا مفترق فهل ترى أن نجمعه

فاجابه بقوله:

اليوم يوم الجمعه وربنا قد رفعه

والشوب فيه بدعه فهل ترى أن ندعه

قال ولفظة السيد في المغرب بذلك العصر لا تطلق الا على بني عبد المومن بن علي.

وللسيد عبد الله صاحب فاس من ابيات في الفخر وقد انتحلها غيره:

الست ابن من تخشى الليالي انتقامهم وترجو نداهم غاديات السحائب
يخطون بالخطى في حومة الوغى سطور المنايا في نحور المقانب
وما كنت ادري قبلهم ان معشرا اقاموا كتابا من نفوس الكتائب

ومن شعر خليفتهم المأمون بن المنصور عند ايقاعه باشياخ الموحدين وتعليق رؤوسهم بأسوار مراكش واشجارها:

أهل الحرابة والفساد من الورى يعزون في التشبيه للذكار
ففساده فيه الصلاح لغيره بالقطع والتعليق في الاشجار
فرؤوسهم ذكرى اذا ما أبصرت فوق الجذوع وفي ذرى الاشجار
وكذا القصاص حياة أرباب النهى والعدل مالوف بكل جوار
لو عم حلم الله سائر خلقه ما كان اكثرهم من اهل النار

ولما نتنت وتأذى الناس برائحتها رفع اليه ذلك فقال ان هاهنا مجانين وان تلك الرؤوس حروزهم لا يصلح حالهم الا بها. وانها لعطرة عند المحبين ونتنة عند المبغضين. وكان اديبا فصيحا بليغا ذا نجدة ورأي وحزم الا أن دولته كانت مزاحمة

بأبي زكرياء يحيى بن الناصر، أقامه الموحدون منافسا له بإثر مبايعته لما تخوفوا من ضبطه، ولما بلغه خبر مبايعتهم المذكور ونكثهم بيعته أنشد:

لتسمعن وشيكا في ديارهـــم الله اكبر يا ثارات عثمانا

وكان اذا ذكر في كثرة الثوار وما آلت اليه الدولة معهم من الانحلال ينشد متمثلا:

تكاثرت الظباء على خراش فما يدري خراش ما يصيد

ومن آثاره النثرية قوله في رسالة:

«تبا لهمتكم المنحطة، وشيمتكم الراضية بادون خطة، احين ندبتم الى حماية اخوانكم، والذب عن كلمة ايمانكم نسقتم الاقوال وهي مكذوبة، ولفقتم الاعذار وهي بالباطل مشوبة، ولقد آن لكم أن تتبدلوا حمل الخرصان، الى مغازل النسوان، وما لكم ولصهوات الخيول، وانما على الغانيات جر الذيول»...

وكانت تصدر منه توقيعات نبيلة فمنها على رقعة امرأة تشكو بجندي نزل دارها وآذاها: «يخرج هذا النازل ولا يعوض بشيء من المنازل»

ومن شعر الخليفة عمر المرتضى بن اسحاق بن يوسف بن عبد المومن

ذليل دمع مقلته دلـــــــــل على أن الحشا فيها غليـــــل
ألـم ببابكـم يبغي شفـــــاء لداء البعد فهو له قتيـــــل
أنيلوني رضا منكـــــم وقربا وحاشا مجدكم أن لا تنيلوا
لئن قطعت سبيل الوصل عني خطوب شرحها عندي يطول
فشافع ما اقترفت هوان ذلي وأعظم شافع أني ذليـــــل
فحسبي انني عبـــــد قطوع وحسبك أنك المولى الوصول

وكان هذا الخليفة عالما اديبا بارع الخط فاضلا عفيفا خيرا وله من ابيات في الدعاء:

دعوت لي الله مستعطـــفا ليصلح مني ما قـــــد فسد
ويصلح نفسي واخـــــلاقها ويذهب عنها الريا والحسد
فسوق الرياء بها نافـــــق وسوق العفاف بها قد كسد

الدولة المرينية

اول سلاطينهم الذي استدف له ملك المغرب بعد الموحدين يعقوب المنصور بن عبد الحق، ولم يرو له شيء من الشعر وان كان له خطب في حض الجند على القتال، إذ جاز الى الاندلس مرارا وله بها وقائع مع الاسبان. وكان ينصت الى الشعراء ويقبل مدائحهم ويجزيهم عليها بالآلاف من العين. وكان شاعر دولته عبد العزيز الملزوزي وله فيه الملحمة الكبرى التي اولها:

بحمد الله افتتح الخطابا وأبدأ في النظام به الكتابا

ولما انشده اياها اجازه عليها بعشرة آلاف دينار واعطى منشدها الف دينار.

ومن شعر ولده الامير ابي مالك عبد الواحد:

فرقت في الميدان كل مليك وجمعت بين جراءة ونسوك
وجعلت للاسلام حدا مالكا كيلا يعيره العدا بسلوك

وهو بديع فما احوج الاسلام الى من يحمي حدوده في كل وقت وفي هذا الوقت بالخصوص ليلا يصير حجة على

معتنقيه كما هو الواقع الآن وهذا معنى قولهم ينزع الله بالسلطان ما لا ينزع بالقرآن. وانى لاعجب بهذين البيتين حتى أرى أنهما افضل ما قاله ملك مسلم من الشعر. وله أيضا:

اجود بما لي لكل العفـــــاة واقتحم الهول في المعضلات
أقود الجيوش واصلي الحروب واقتطف الهام بالمرهفات
وأحمي ثغوري من أن تنال واغزو وانهب أرض العداة

وكان ابو مالك هذا على غاية العقل والنبل والكرم والنباهة والشجاعة والحلم محبا في الاداب والتاريخ مقربا للعلماء والفقهاء عالما بأنساب بنى مرين وغيرهم من قبائل زناتة ذاكرا لايامهم وحروبهم واختص بمجالسة جماعة من اهل العلم والادب، منهم الملزوزي فمن اخباره معه في اريحية الأدب أنه دخل عليه في يوم من شهر رمضان وهو بقصوره بحضرة مراكش قال والسماء قد ارتدت بالسحائب والنهار يبكي بالدموع السواكب كأنه عاشق صد عنه حبيبه ففاضت دموعه عليه وكثر نحيبه، ولم يرق له مدمع، كأنه لم يبق فيه مطمع، فكأن الرعد حسرته والبرق لوعته وزفرته فقال لي: ما أحسن هذا اليوم، لو كان في غير شهر الصوم، فاقترح غاية الاقتراح على وقال قل فيه

شعرا بين يدي، فأنشدته هذا الابيات:

اليوم يوم نزاهة وعقـــار وتقرب الآمال والاوطـــار
أوماترى شمس النهار قد اختفت وتستترت عن أعين النظـــار
والغيث سح غمامـــه فكأنه دنف بكى من شدة التذكـــار
والبرق لاح من السماء كأنه سيف تألق في سماء غبـــار
لاشيء أحسن فيه من نيل المنى بمدامة تبدو كشعلة نـــار
لولا صيام عاقني عن شربهـــا لخلعت في هذا النهار عذاري
لو كان يمكن أن يعار أعوته وأصوم شهرا في مكان نهار
لكن تركت سروره ومدامه حتى أكون لديـــه ذا إفطار
وندبرها في الكأس بين نواهد تجلو الهمـوم بنغمة الاوتـار
فجفونها تغنيك عن اكواسها وخدودها تغنيك عن أزهار

فأجازه بخمسمائة دينار وكسوة فنقصه الوكيل من الدنانير واعطاه كسوة خشنة وكان هذا الوكيل حاجا فشكاه الى الامير بأبيات منهـا:

ان كانت الحجاج طوا مثلـــه لا بارك الرحمن في الحجاج

فضحك الامير وامر بتوفيته حقه وإعطائه مائة اخرى كفارة لما صنع معه.

ومن الشعر المنثور الذي يزري بقلائد النحور قول السلطان ابي سعيد بن يعقوب المريني وقد سأل كاتبه عبد المهيمن الحضرمي عن تهادي المحبين للتفاح دون الخوخ وكلاهما حسن المنظر طيب المخبر، شديد الشبه بأخيه، سديد تشبيه الوجنات به لمتوخيه، فقال من عند مولانا. فقال ارى ذلك لاشتمال التفاح على الحب الذي يذكر بالحب والهوى، والخوخ على النوى الذي يذكر اسمه صفرة الجوى، وربما كان لهذا السلطان شعر لان نفسه نفس شاعر الا اننا لم نقف عليه.

ومن شعر الامير ابي علي بن السلطان أبي سعيد يخاطب اخاه السلطان ابا الحسن لما تقبض عليه:

أخنى علي زماني بالبعاد كما ... اخنى على لبد في صفقة الغبن
فلا يغرنك الدهر الخئون فكم ... أباد من كان قبلي يا ابا الحسن
الدهر مذ كان لا يبقى على صفة ... لابد من فرح فيه ومن حزن
أين الملوك التي كانت تهابهم ... اسد العرين ثووا في اللحد والكفن
بعد الاسرة والتيجان قد سحيت ... رسومها وعفت من كل ذي حسن
فاعمل لاخرى وكن بالعرف مؤتمرا ... واستغن بالله في سر وفي علن
واختر لنفسك امرا أنت آمره ... كأنني لم اكن يوما ولم تكن

وله ايضا:

اغالب فيك الشوق والشوق اغلب ... واطلب منك الوصل والنجم اقرب
و يطمعني قلبي بوصل وانني ... سأعلم حقا أن قلبي يكـــذب
حيـاتي وموتي في يديـك وانني ... اموت واحيى حين ترضى وتغضب
فلا الوصل يحييني ولا الهجر قاتلي ... ولا لي بـدلا ولا عنـك مـهـرب

وله ايضا:

مل يا نسيم على غصون المندل ... وانعم بتلك المائسات الميـــل
واذا مررت على الديار فسل بها ... عن راحل عنها ومن لم يرحل
زموا المطي وخلفوني بعـدهم ... تجري دموعي في رسوم المنزل

وكان هذا الامير على ما عند ابن خلدون محبا للعلم مولعا باهله منتحلا لفنونه وله بصر بالبلاغة واللسان وهو الذي جلب الرئيس عبد المهيمن الحضرمي لكتابته من سبتة لما رأى الايدي تشير اليه. فلما خرج على ابيه السلطان أبي سعيد ثم تصالحا كان في جملة شروطه على ابيه أن يبقى الرئيس المذكور في جملته، وكان قد انحاش الى أخيه ابى الحسن في ايام خروج أبى علي، فلما سمع أبو الحسن بذلك حلف ليقتلن عبد المهيمن اذا هو انخزل عنه الى أخيه. فتحير عبد المهيمن ورفع أمره الى

السلطان فامره بملازمته هو والكون في معيته.. فهكذا تكون الهمم والتنافس في المعالي والمعرفة بأقدار الناس والتكثر من ذوي الكفاءات رحم الله الجميع.

ومن شعر أخيه السلطان ابى الحسن المرينى وهو واسطة عقدهم وصاحب الذكر المرفع فيهم:

ارضى الله في سري وجهري وأحمى العرض من دنس ارتياب
وأعطى الوفر من مالي اختيارا وأضرب بالسيوف طلي الرقاب

كان السلطان ابو الحسن عالما أديبا متفننا في ضروب المعارف محبا للعلماء لا يفارقون مجلسه ممدحا من الشعراء وقد اجتمع له من هذين الصنفين ما لم يجتمع لملك فى عصره فمن اندلسيين الى مغاربة الى افارقة والكل يمرح فى بحبوحة رضاه ويفوز بالقدح المعلى من عطاياه أما ما بناه.. من المدارس والمساجد والاثار المختلفة فحدث ولا حرج وكلها من الفخامة بمكان ومما يحكى عنه انه امر ببناء مدرسة علمية بمدينة مكناس وقدم للنظر في بنائها قاضي المدينة فرفع اليه انه بذر فيها مالا عظيما. فلما تم بناؤها جاء اليها من فاس ليقف عليها ويرى عملها فلما رءاها اعجبته صنعتها وراقه بناؤها فجلس على كرسي حول

صهريج الوضوء وجيء بالرسوم المتضمنة التنفيذات اللازمة للبناء فغرقها في الصهريج قبل ان يطلع عليها وانشد:

لا بأس بالغالي اذا قيل حسن ليس لما قوت به العين ثمن

ومن شعر ولده السلطان ابي عنان فارس الذي الف ابن خلدون تاريخه باسمه:

يارامي بالنبال من غنج وصائلا بالنصال من دعج
وباديا كالهلال في سحب وطافحا من سلافة الفلج
وباسما عن لالىء نسقت وناسما كل عاطر أرج
رفقا بقلبي فان فيه هوى ولا تطل في الملال والحرج

وله وكانت بيده تفاحة فدخلت عليه جارية كان يحبها فرماها اليها وقال:

خذها اليك هدية من كف ملك مالك
يبدي العطايا دائما ويبيد شمل الفاتك

وله ايضا:

جسمي اضر به السقام والجفن قد عدم المنام
يا هاجري مني على انوار غرتك السلام

وله في الحكمة:

واذا تصدر للرياسة خامل جرت الامور على الطريق الاعوج

كان الشيخ العلامة الجامع ابو زيد عبد الرحمن الزودي رحمه الله يحدثني ان هذا بيت من قصيدة للسلطان المذكور وقف هو عليها ولاكنني لم ارها عند احد وله ايضا وقد دخل عليه رجل متصالح فلما نظر اليه قال بديهة:

تراهم في ظواهرهم كراما ويخفون المكيدة والخداعا

وكان السلطان ابو عنان فقيها يناظر العلماء الجلة عارفا بالمنطق واصول الدين وله حظ صالح من علمي العربية والحساب وكان حافظا للقرءان عارفا بناسخه ومنسوخه حافظا للحديث عارفا برجاله فصيح القلم كاتبا بليغا حسن التوقيع شاعرا مبدعا وله ءاثار دينية من بناء المدارس والمساجد وغيرها ناهيك بمدرسته البوعنانية بفاس التي لا تزال تعد من بدائع الفن والعمارة المغربيين. ومدائح الشعراء له ومنائحه لهم مما يضيق المجال عن الاشارة اليه فضلا عن استيفائه.

ومن شعر السلطان ابي العباس احمد بن ابي سالم بن ابي الحسن وكان شاعرا محسنا بديع التشبيه:

اما الهوى ياصاحبي فألفته وعهدته من عهد ايام الصبا
ورايته قوت النفوس وحليها فتخذته دنيا الي ومذهبا
ولبست دون الناس منه حلة كان الوفاء لها طرازا مذهبا
لاكن رايت له الفراق منغصا لا مرحبا بفراقنا لا مرحبا

ومن شعر والده السلطان أبي فارس عبد العزيز وقد نزل المطر بعد انحباسه:

الله يلطف بالعباد فواجب ان يشكروا في كل حال نعمته
فهو الذي فيهم ينزل غيثه من بعد ما قنطوا وينشر رحمته

الدولة السعدية

اول من قعد قواعد الملك في هذه الدولة السلطان ابو عبد الله محمد الشيخ وكان اديبا متفننا حافظا ممتع المجالسة كثيرا ما ينشد:

الناس كالناس والايام واحدة والدهر كالدهر والدنيا لمن غلبا

وكان يحفظ القرءان وصحيح البخاري ويقول في شرحه لابن حجر ما صنف في الاسلام مثله. وكان يحفظ ديوان المتنبى عن ظهر قلب ويحض على المشاورة ويقول لا سيما في حق الملوك وينشد قول ابي الطيب.

ومن جهلت نفسه قدره رأى غيره منه ما لا يرى

وكان يقول: ينبغي للملك ان يكون طويل الامل فان طول الامل وان كان لا يحسن من غيره فهو منه صالح لان الرعية تصلح بطول امله. وهو والد عبد الله الغالب وعبد الملك المعتصم واحمد المنصور الذهبي الذين ملكوا بعده على هذا الترتيب ومحمد الحران قائد جيوشه وعبد القادر وزيره. فيحكى ان العلامة اليسيثنى دخل عليه وحوله بعض بنيه المذكورين فانشده:

فقلت عسى ان تبصريني كانما بنى حوالي الاسود الحوارد

فاعجب ذلك السلطان وولاده وعلى اريحية هذا السلطان الادبية لم يرو له شعر.

ولحفيده الامير محمد بن عبد القادر وكان قدم من مراكش الى فاس ومعه القاضي الحميدي فبدت له معالم فاس فقال ارتجالا

أخلاي هذا المستقى وربوعه وهاذي نواعير البلاد تنوح

وذاك المصلى مطرح الشوق والاسى وتلك منازل الديار تلوح

فقال القاضي:

وتلك القباب الخضر شبه زبرجد بهن غوان طرفهن جموح

يمسن كاملود من الروض يانع شذاهن من حول الديار يفوح

والمستقى بصيغة اسم المفعول اسم بستان والنواعير معروفة وهي الدواليب التي ترفع الماء من الانهر ونحوها.

ومن شعره في بعض الاسفار وقد ارسلت السماء بغيثها المدرار وكان هو وكاتبه عبد الواحد الشريف فقال.

لله اشكو غداة السفح اذ ركضت ايدي المطايا وحادي الريح يحدونا

فقال الكاتب.

والغيم في الافق قد ارخى ذوائبه باسهم الودق لا ينفك يرمينا

فقال الامير.

حتى استوى الماء والاكام واستترت معالم الرشد، لا خريت يهدينا
فظلت الخيل في الامواج سابحة سبح السلاحف نحو الارض يهوينا

فقال الكاتب.

والنفس في قلق لبين مألفها والشوق يجذبنا والحال يقصينا

فقال الامير.

كاننا لم نبت والوصل ثالثنا حتى غدا الطير فوق السرح يبكينا

وزر هذا الامير لعمه السلطان عبد الله الغالب وكان من انبل الوزراء واحسنهم مسلكا وله عارضة قوية في النظم والنثر.

ومن شعر السلطان محمد المتوكل بن عبد الله الغالب وكان اديبا مجيدا.

فقم بنا نصطبح صهباء صافية في وجهها ذهب في وجهه نقط
وانهض اليها على رغم العدا قلقا فان تاخير اوقات الصبا غلط

وله أيضا.

خليلي ما يخفى انحصاري عن الصبا فحلا عقالي قد اضر بي الربط
ولا تحفلا من لام او تتلوما فان بحار اللوم ليس لها شط

وقال ايضا.

ساروا وسار فؤادي اثر ظعنهم وخلفوني نحيل الجسم حيرانا

لا افتر ثغر الثرى من بعد بينهم ولا سقى هاطل وردا وريحانا

ومن شعر واسطة عقدهم السلطان ابي العباس احمد المنصور المعروف بالذهبي قوله في وردة مقلوبة بين يدي محبوبة له.

ووردة شفعت لي عند مرتهني بدت وقد سجدت لفاتر الحدق

كأن خضرتها من فوق حمرتها خال على خده من عنبر عبق

ومن يعرف الخال العنبري الذي يوضع على الخدود يعلم عقم هذا التشبيه. والمنصور الذهبي في ملوك المغرب كابن المعتز في ملوك المشرق فقد كان شاعرا بليغا مكثرا بالنسبة لاهل طبقته بديع التشبيه غريب المنزع مذهب الديباجة وله عدا الشعر تآليف منها كتاب في السياسة وتدبير الملك اوله

«نحمدك اللهم على ما انلت من رياسة، وعلمت من سياسة ووهبت من ملك، ونظمت من سلك، وكففت من اعداء، وهديت من اراء، ونصلي على مبلغ انبائك، وخاتم انبيائك، المؤيد باهل ارضك وسمائك، من به اقمت على خلقك الحجة، وبلسانه الصادق نهجت لهم في اتباعها المحجة، صلاة تكون له كفاء، ولمجده السامي وفاء.

وبعد فلنا حاجة الى تكميل انفسنا في قواها البشرية باستعمالها

في حقائق المعلومات العلمية والنظرية، وعلوم الحكمة العلمية اولى بنا لما نحن فيه، واعون على ما نجلبه لهذا الامر العلوي الفاطمي او ننتقيه، فلنصرف اولا عنان القول اليها، ولنجلب بالخيل والرجل في ميدان هذه الطروس عليها، ومن الله نستمد وعلى عونه جل وعز نعتمد.

وله غير هذا الكتاب. قال الفشتالي وكان عازما على جمع اشعار الشرفاء من اهل البيت وافرادها... ففكر في مجموع شعر من نحو ما نحن فيه. وله كل توقيع حسن، فمن ذلك ما وقع به لمولاه جؤذر فاتح السودان وقد خاطبه بما طلبه ملك السودان من الصلح على مال معلوم فكتب على خطاب جؤذر بخطه (أتمدوننني بمال فما ءاتاني الله خير مما ءاتاكم) الاية.

وامر احيائه لدولة الادب واخذه بضبع الشعر حتى انهضه بعد كبوته واجازته للشعراء بالالاف العين وقصد الوفود له من كل مكان معلوم حتى انه اجتمع عنده مرة ثلاثة فضلاء احدهم شريف مكي والاخر مدني والثالث امام الدين الخليلي من بيت المقدس فانشده الخليلي.

ان امير المومنين احمد بحر الندى وفضله لا يجحد

فطبية ومكة اهلها والمسجد الاقصى بذاك شهدوا

وقال نصرك الله انه لم يتفق هذا لملك قصدت ابالته فتبسم لذلك واجزل صلاتهم.

ونرجع الى رواية بعض المختار من شعره فمن ذلك قوله

من عنبر الشحر او من مسك داريز بلى ومنه نسيمات الرياحين
مهفهف ان تثنى قلت مقتضب من قضب نعمان او من كثب يبرين
ذنبي اليه ولا ذنب محبته من اجلها بسهام اللحظ يرميني
يامـا أميلحه ظلمـا رضيت بـه لو انه دام منه كان يكفيني
معذبي قد حرمت النوم بعدكم فامنن علي بنوم غير ممنون
او مض على ورد ذاك الخد برق فم يعوض الخد من ورد بنسرين

وله ايضا

اقام بقلب في هواه مقلب وأنى له بين الضلوع مقام
فياشادنا مرعاه حبة مهجتي اما لحشا اقمت فيه ذمام

وله ايضا

تبدى وزند الشوق يقدحه النوى فتوقد أنفاسي لظاه وتضرم
وهش لتوديعي فاعرضت مشفقا على كبد حر او قلب يقسم
ولولا ثواه بالحشا لاهنتها ولكنها تعزى اليه فتكرم
عجبت لاساد الشرى كيف احجمت على انه ظبى الكناس ويقدم

وله ايضا

طرقت حماه والاسود خوادر به فتولى في الظبا وهو يبعد
فعلمت ءاساد الشرى كيف اقدمت وعلم غزلان النقا كيف تشرد

وقال موريا

ان يوما لناظري قد تبدى فتملى من حسنه تكحيلا
قال جفني لصنوه لا تلاقى ان بيني وبين لقياك ميلا

وبعث الى جارية كانت مغاضبة له بوردة في زمن النرجس قطفها من بستان المسوة ومعها هذه الابيات

وافى بها البستان صنوك وردة يقضى بها لما مطلت وعودا
اهدى البهار محاجرا واتى بها في وقته كيما تكون خدودا
فبعثتها مرتادة بنسيمها تثنى من الروض النضير قدودا

فرضيت عنه واقبلت عليه ، وله مدحا في النبي صلى الله عليه وسلم .

ياخاتم الارسال جئتك مادحا فاجعل كفاءي منك عطفة راحم
الانبياء وان اتوا بمناشر لكنها تحتاج منك لخاتم

وهو بديع رايته منسوبا اليه بخط بعض العلماء... وله غير هذا شعر كثير في التورية والاستخدام واللغز اضربنا عنه صفحا لضيق المقام عن تفسيره وبيان نكته وبالجملة فان هذا

الملك كان بحق مجددا لمجد العروبة في المغرب على راس الالف فقدس الله روحه وبرد ضريحه.

ومن شعر ولده السلطان ابي المعالي زيدان وكان أديبا اريحيا:

فتنتنا سوالف وخدود وعيون مدعجات رقود
ووجوه تبارك (1) الله فيها وشعور على المناكب سود
اهلكتنا الملاح وهي ظباء وخضعنا لها ونحن اسود

وله ايضا.

مررت بقبر هامد وسط روضة عليه من النوار مثل النمارق
فقلت لمن هذا فقالوا بذلة ترحم عليه انه قبر عاشق

وكان هذا الشعر في حفظي منذ الصبا من غير نسبة هكذا

مررت بقبر دارس وسط روضة عليه من الاحزان سبع شقائق
فقلت لمن ذا القبر جاوبني الثرى ترحم عليه انه قبر عاشق
فقلت سقاك الله يا ميت الهوى واسكنك الفردوس اعلى الشواهق
مساكن اهل العشق حتى قبورهم عليها تراب الذل بين الخلائق

وهو من أشعار الف ليلة وليلة.

---

(1) فيه استعمال تبارك في محل بارك مجاراة لقول العامة تبارك الله عليك.

الدولة العلوية

ادام الله سعدها وحرس مجدها

من شعر الامير مولاي محمد بن السلطان مولاي اسماعيل مخاطبا شيخه ابا عبد الله القسمطيني ايام خلافته بسوس ومتشوقا الى فاس.

الاليت شعري هل انزه ناظري ... وللنفس اقبال بوادي الجواهر
امتع طرفي في رياض انيقة ... واقطف ازهارا بها كالزواهر
بحيث ترى اسد العرين صريعة ... وقد فتكت فيها ظباء المقاصر
وحيث ترى غلب الحدائق سلسلت ... حديثا صحيحا عن نسيم الازاهر
وقد نسجت كف النسيم عشية ... دروع مياه بين تلك النواعر
واصبحت الاطيار فوق غصونها ... فصاحا تقص فوق خضر المنابر
سقى الله ادواحا بفاس عهدتها ... تغازل انواء الغيوث المواطر
ولا برحت عين تراها قريرة ... وان قذفت بالقلب جمرة حائر
لك الله من الف بدرعة جسمه ... وقلب بفاس في قدامة طائر
تراوحه الاشواق في كل ليلة ... فما بين مزور هواه وزائر
ولو انه يعطى على قدر قدره ... لكان له ما بين بسر وباسر

فمن مبلغ عني رسالة شيق الى عالم الاعلام صدر الاكابر
الى العالم النحرير والحجة التي روى فضلها غر السراة الجماهر
الى شيخنا الاسمى اسمى محمد احملها هوج الرياح العواطر
احملها من النسيم تحية الى الماجد الارضى كريم المناصر
واقطعها الود الصميم وان نأت به الدار عن بحر من العلم زاخر
فلله ما يشكو الفؤاد من النوى ولله ما تطوي بطون الدفاتر
اذا ما ذكرت العهد واشتقت للقا جعلت فؤادي بين اضلع صابر
فيادوحة العلم التي عم عرفها جميع البرايا بين باد وحاضر
وياسيد احملته كل وارد سلامي وقد حملته كل صادر
ويا كوكبا قد حل في افق الهدى فالقى سناه في عيون المناظر
الست الذي ان عز في العلم مشكل تلقاه فهم منك في زي باتر
الست الذي ترتاح كل عويصة الى ذهنه ما بين ناه وآمر
حنانيك هاض القلب سهم ابن مقلة فادمى فهل تروى حديث ابن جابر
عليك سلام الله ما هاج شيقا بريق وما لاح الصباح لناظر

فاجابه الشيخ بقصيدة مطلعها:

خليلي عج بالركب من ام عامر وعرج على كثبان نجد وحاجر

وكان هذا الامير يعرف بمحمد العالم لتضلعه ومهارته في

العلوم والفنون كالنحو والبيان والمنطق والكلام والاصول فضلا عن الادب... وخرج على والده بالسوس فظفر به واعدمه وكانت قضيته من الفتن العظيمة بالمغرب عمت اهل القطر السوسي وخصت الاعيان من العلماء الذين كانوا يخالطون محمد العالم هذا ومنهم العلامة ابو عبد الله المسناوي الدلاءي وكان من اخص خاصته فوشى به الى السلطان وقيل انه من شدة اتصاله به لا يغيب عنه عزمه على القيام عليك فاعتذر عنه بعض احبائه بانه كان ينهاه عن القيام وانشد له في ذلك:

مهلا فان لكل شيء غاية والدهر يعكس حيلة المحتال
فالبدر ليس يلوح ساطع نوره والشمس باهرة السنا في الحال
فاذا توارت بالحجاب فعند ذا يبدو بدو تعزز وجمال

ومن اللطائف الادبية ان الامير الشريف اخا محمد العالم كتب اليه بقول سيف الدولة:

رضيت لك العليا وان كنت اهلها وقلت لهم بيني وبين اخي فرق
اما كنت ترضى ان اكون مصليا اذا كنت ارضى ان يكون لك السبق

فاقتوح المولى محمد العالم على الشيخ المسناوي الجواب عنه فقال

بلى قد رضيت ان تكون مجليا ويتلو نداكم في العلا من له السبق

ومالي لا ارضى لك المجد كله وانت شقيق النفس ان عرف الحق
ولاكن ذوو الضغن انتحوا ذات بيننا ففادرها افسادهم وبها رنق

ومن نثره ما كتب به للوزير اليحمدي وقد بلغه انه اثنى عليه عند والده مولاي اسمعيل:

حيا الله بمنه ركن الدولة الاسماعيلية وسميرها، ومنتقى هاتيك الحضرة السامية ووزيرها، مطلع انوارها، ومعدن اسرارها ابي العباس اليحمدي هذا ولا زائد سوى تاكيد ود صفا مشربه وطاب اعذبه، واعلامك بان بعض محبيك كاتبنا بجميع ما قلته فينا، وما صدر منك الينا من الصنائع والاحسان، فقد احسنت ابا العباس ولم يتقدم لك منا احسان، وقمت في نصرتنا مقاما لم يقم معك فيه انسان، وقد اسديت والله شكور، واتجرت تجارة لن تكسد ولا تبور... ومن قبل كنا بحقك جاهلين وعن قدرك ذاهلين. والان تبين الحق، وحصحص الصدق، واتضح الكهام من الحسام، والصيب من الجهام... فدم على ذلك ادام الله سيادتك، وابقى بمنه مجادتك والسلام

ومن شعر اخيه الامير زيدان

لم انس يوم زارني قمري فكمل الانس به اذ جلس

قبلت منه الخد مختلسا وانما العيش الشهي خلس
وملت للثغر على غرة منه فما اطيب ذاك اللعس
فجاد لي بالريق حيث درى اني عليل لا اطيق النفس
وبت نشوان بعافيـــــة اغتنم الفرصة عند الغلس

ومن شعر السلطان الاسبق المولى عبد الحفيظ رحمه الله في حيوان كان عنده ومات

سكبت دمعها فهاجت مآقي وتدانت وروحها في التراقي
برهنت لي عن ودها وقديم العهد منها بشدة الاشفـــاق
اوقدت بفراقها نار وجدي ليت شعري هل للتفرق راق
افزعتني بغشية قد علتهـــا فهرعت لضمها واعتنـــاق
ثم ناديت (باحذام) لادري هل لروح تماسك باعتلاق
فاصاخت الى كلامي ولبت ما على الميت ان ابى من شقاق
امتثالا لما دعوت اجابت وابانت صداقة في السياق
ثم جادت بنفسها واستراحت من اليم العذاب والارهاق
فدفعت بها الى الترب حفظا لحقوق اكيدة الميثـــاق
تكفت الارض كل حي وميت فالثرى لجسومنا كالطباق
يامنايا هلا رميت سهامـــا نحو من شيدوا حصون النفاق

وتركت سليمة الصدر من كا نت الى الموت من أحن الرفاق
كنت قدما اذب عنها ولاكن ما من الموت ان اتى من واق

وهي قصيدة طويلة تخيرت منها هذه الابيات واخبرني احد خدام السلطان وهو الذي مكنني بشعره هذا ان الحيوان المرثى كان كلبة وهو ظاهر من اوصافه في الشعر وله ايضا في شكوى الحال من قصيدة:

اليك رفعنا الامر يامانع الاذى فقد هالنا حزب الغواة بما ابدى
تمالأ اهل الكفر عنا بقوة ولم يرقبوا للظلم إلا ولا عهدا
اذا علموا من ينتمى لمحمد تراهم لفرط الغيظ في حربهم أسدا
وما ان يرى لمسلم من كرامة وان كان طول الدهر يخدمهم عبدا
تراءوا بعدل في القديم بخدعة قلما اتوا نلنا المهانة والنكدا
بهضم وشتم في العباد وربها فما عظموا جمعا ولا رحموا فردا
كانهم قد وكلوا بمهانة لمن في سبيل الحق يتبع الرشدا
وما في سجايا الروم عفو وعفة ولا يبذلون الوسع في الحلم والجهدا
وحوش اذا تظفر يداهم وان تخب تراهم كذيب الغاب يلتمس العودا
اسأنا بفعل الذيب جهلا وغفلة بجودك ارجو ان تمحى وان اهدى
اليك سالنا العفو والصفح منة كما قد رجونا النصر والعز والرفد

بذلي وفقري قد رجوت اجابة لتكشف بلواي وتمنحني البعدا
فقد طال مكثي بالبلاد واننى لاعلم ان الجنس من ابغض الاعدا
مرادهم نيل الرفيع اهانة وان يجعلوا للكفر في شرعهم مجدا
فطنت وقلبي كاره لوصالهم وهل يؤلف الخب اللئيم وان اسدى
تكبرت عنهم راجيا ان كيدهم يعود هباء والخسارة قد تفدى

وقد كتب على قوله وتمنحني البعدا يعني منهم. وله من قصيدة يتأسف على فراق المدينة:

لهف نفسي على سعود رجال تنظر الجود من سماء الوجود
لهف نفسي على بقاع رباها مهبط الوحي للنبي الودود
ازفت رحلة النوى فدعاني باعث الشوق مرشدا للقعود
كيف يسعى الى لظى ذو ذكاء بعد ان كان في جنان الخلود
هذه طيبة تنادي جهارا منهلي العذب سائغ للورود
ان من يعش عن هواها ويصبو لسواها لبضعة من ثمود

وله من قصيدة نبوية:

خذوا واقبلوا هذا المعيب بفضلكم فغيركم لا يقبل العيب والادنى
فانتم كرام العالمين ومن يرى به البعض منكم فهو من ذلك المغنى
على الحب ما عشنا ونسأل ربنا دواما على حب الحبيب وان متنا

له الحكم فى ابداننا ونفوسنـا وما شاء محبوب الغرام فقد شئنا
فمن لم يكن يهوى الرسول وحزبه ويعلم ان فى المحبة ما يجنى
مصاب عليه الموبقـات تراكـمت وقد نال مقتا بالبعاد الذي افنى

واشعاره كثيرة وقفت على جملة صالحة منها ومكانته في العلم اشهر من ان تعرف وتآليفه نظما ونثرا مطبوعة مشهورة لا حاجة الى التنويه بها.

هؤلاء هم الامراء الاشراف الذين روي لهم شعـر من نظمهم... واما من هم مظنة قول الشعر ولم نقف على شيء من نظمهم فكثير مثل السلطان مولاي رشيد اول من مهد ملكهم وقضى على المنازعين لهم وكان على جانب من العلم والادب محبا لاهل الفضل مختصا بمجالستهم كثير الاحسان اليهم... فحكى ان العلامة ابا عبد الله محمد المرابط الدلاءي حضر يوما بمجلسه وذلك بعد الايقاع بزاويتهم وتغريبهم الى فاس فانشـد السلطان معرضا بالمذكور قول ابي الطيب المتنبي:

ومن نكد الدنيا على الحران يرى عدوا له ما من صداقته بـد

ففهم ابو عبد الله المرابط اشارته فقال ايد الله امير المؤمنين ان من سعادة المرء ان يكون خصمه عاقلا فاستحسن الحاضرون

حسن بديهته ولطف منزعه. وفي الحكاية دليل على ادب السلطان ومعرفته بالشعر لحسن ايراده لهذا البيت وموافقة تمثله به لواقع حال المرابط الدلاءي.

وهذا السلطان هو الذي اجاز احد أدباء الجزائر بالفي دينار على بيتين من الشعر مدحه بهما وهما:

فاض بحر الفرات في كل قطر من ندى راحيتك عذبا فراتا
غرق الناس فيه فالتمس البخل خلاصا فلم يجده فماتا

ومثل السلطان سيدي محمد بن عبد الله واسطة عقد هذه الدولة في التدبير والحزم والسياسة والحلم والرأي والفهم والفقه والعلم وهو ممدوح ابن الوقان بقصيدته الشمقمقية المشهورة وكم كان يحرص على نشاط الحركة العلمية والادبية في بلاده وهو صاحب فكرة تنظيم القرويين وتجديد طرق الدراسة بها مما لو استمر العمل به منذ زمانه الى الان لاتى بنتائج باهرة للعيان وله مع ذلك تآليف فذة في الحديث والفقه معروفة.

ومثل السلطان العادل العالم مولاي سليمان فان له اثارا نثرية مهمة من خطب ورسائل وتآليف لا يبعد معها ان يكون له شعر.

ومثل السلطان المقدس مولاي الحسن فانه كان عن جانب من العلم والادب وتصدر عنه التوقيعات المليحة كتوقيعه للطلبة وقد كتبوا اليه يستأذنونه في اقامة نزهتهم قبل الابان وهو بفاس عسى ان يحضرها فوقع لهم (حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت وظن اهلها انهم قادرون عليها اتاها امرنا) وتوقيعه لاهل فاس لما رفعوا اليه اعتذاراهم عما كان منهم من الشغب قائلين ان ذلك من فعل السفهاء فوقع (السفيه اذا لم ينه فهو مامور).

ونقف هنا ونترك المجموعة مفتوحة لضم اشعار النابغين من امراء دولتنا العلية في المستقبل فان مرور الزمن عليها لا يزيدها الا فتوة... نسأل الله تعالى ان يبقيها على الدوام رافعة لراية العروبة والاسلام في هذا الوطن العزيز.

تكميل

بعد ختم الكتاب وتقديمه للحضرة الخليفية الكريمة، اطلعنا على طرفة أدبية جميلة خليقة بان نجعلها مسك الختام في هذا المقام وهي الخطاب الذي وجه به نقيب الاشراف العلويين بمكناس العلامة الاديب الكبير مولاي عبد الرحمن بن زيدان الى حضرة صاحب السمو مولانا الخليفة المعظم وما اجابه به على لسان صاحب السمو معالي وزير الاوقاف العلامة الاديب البليغ السيد محمد بن عبد القادر ابن موسى. ونص الخطاب:

خليفة عرش مغربنا المفدى ... وبضعة بيت مملكة سمى
على القدر اعنى ابـــا على ... ورب الفضل والخلق الزكى
ومن اضحت شمائله كروض ... أريض فاح بالارج الذكى
تحدثنا الركائب عنه خيرا ... وتنبىء كيف حال الالمعى
وتبدي المحاسن من حـــلاه ... وتخبرنا عن الشرف البهى
عليك سلام ربي والتحايـــا ... ينم كباها كالمسك الشذى
وبعد فكم طمحت الى مزار ... به (حسن) المآثر والسمى
ولما لم تف الاقدار منـــه ... على شوق شديد بالقصى

بعثت اليك مني بالتحايـــا تحايا الخل للخل الصفـــى
يهب مع الصبا في كل صبح ويحملها نسيم بالعشـــى

قد كان روع البال وهيج البلبال ما سمعناه من انحراف طرأ عليكم في المزاج ازعجنا والله غاية الازعاج في حال كنا فيه سواسية في المرض، واعتراض داء عرض لم يمكني معه تحريك يراعة ولم يسعني الا مد كف الضراعة لمن يكشف الاسواء وينزل الدواء وليس الا رب العالمين الذي خلقني فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين واذا مرضت فهو يشفين فما هو الا ان حف الجميع بالطافه الخافية واسبل على الكل رداء العافية منن منه سبحانه تترى فحمدا لله وشكرا ثم زاد في سروري ومضاعفة حبوري تحقيق امنية كانت في سر الخفاء مطوية لم تبرزها الاقدار الا في هذا المضمار وهي ما نعلمه من مولانا ونعمة الله التي اولانا مفخرة الاجيال والعصور سيدنا الامام المنصور ابد الله نصره وزين بامثالكم نخبة اقاربه عصره وهي محبتكم الخاصة التي كان لا يعلمها الا الخاصة فبادرو ما ونى واظهرها علنا بايفاد وفد من اعيان عصره وخواص قصره فكان خير وفادة في واجب العيادة تنويها

بقدركم المنيف وزيادة رفعة لمكانكم الشريف ثم عاب وكله السنة شاكر وثناء عاطر مما رأى من الاياد والكرم المعتاد وحسن شيم شنشنة اعرفها من اخزم فتضاعف لنا السرور واثاج ذلك النبأ منا الصدور فالله تعالى يعلي مناركم ويدني في أطيب الساعات مزاركم ويبقيكم في خصب العيش ومربعه وبين مرأى الله ومسمعه وعلى خالص الولاء المستدام والمحبة والسلام في فاتح المحرم الحرام فاتح عام 1361.

وهذا نص الجواب:

خطيب الدهر فاجأ بالفرى وقام على انامل شعـــرى
يفيض على النهى اعراب كعب ويسلبها بلحن البحتـــرى
اذا اجرت شعاب الفكر شوطا جرى الوادي فطم على القرى
وان اشجت رقائقه بشدو فياويح الشجى من الخـــلى
الان بيانه شرد القوافـــى فافرغها بطبع جوهـــرى
وابرزها خرائد سافـــرات وفصلها فرائد في حـــلى
فاما اشرقت في السمع درا ونزهت النواظر في غرى
فما زهر الخمائل في زهو ولا قد الحسان بسمهـــرى
ادار بها علي الاحباب كاسا تمت الى الرحيق بسكرى

فاوثق من اعنتها عصيبـــا ابو زيد بن زيدان السرى
عليه من التحية الف الف تطيب مع السلام العنبرى
يهز بها النسيم ردا أخيه (عبير الاس) من فرد جرى
يقوم به الطموح الى مزار ويقعده القصور عن اللقى
فبث من التشوق ما اجدت وشائجه السوارة بالسوى
وقدم عذره والسذر فجر يذود الشك بالصبح الجلى
واعلن كامن الاشفاق مما اراح بكشفه لطف الولى
واخلص في الدعاء بظهر غيب يروحه بقصد اريحى
الا لله ما صنعت رقاه بما افرغن في سمع النجى
وما ابدين من سحر حلال وما اصفين من ود وفى
لثن حلاه مانحه بلطف واورثه الفضائل عن علي
وملكه رقاب القول فصلا وايده بفكر المعى
وجرده لتاج الملك عضبا ينافح عن حماه العبقرى
فكم سارت مآثره بشرق وكم جالت بقطر اعجمى
وكم ظهرت ظهور الشمس رأدا تزود الحق بالامد القصى
وكم سفرت وبالالطاف لين وكم لله من لطف خفى

تلقينا من كتابكم المحيط باطراف الابداع الجامع بين بهجة

الابصار ولذة الاسماع ما يتلقاه الظمآن من العذب الزلال ويستشعره الطبع السليم من روائع السحر الحلال اشرقت المحاسن من افق شرفاته ووقفت الابصار بعرافته فاحلها الرياض النضرة بين يمن بياناته وأنس الفاته فان اعتدل المزاج ببركة اياته المتلوة وتحقق العلاج من انفاسه الطيبة ونفائسه المجلوة فما هو الا اثر من اثار علم اعلام عصره والحجة البالغة على الامصار لابناء مصره الحال من عمود النسب الشريف بين سحره ونحره ومن البيت الكريم المالك ما بين العطف والرعاية من افياء قصوره:

وهل ينبت الخطى الا وشيجه وتغرس الا فى منابتها النخل

حرس الله به للفضل كماله وللنبل خلاله وللشرف الرفيع ما يقيم فروضه ويؤيد انفاله والسلام عليه ورحمة الله وفي 18 صفر الخير عام 1361.

[redacted]

كتون «

اسماء نا الشعراء «

[redacted]

كنون ،عبد الله
امراؤنا الشعراء
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01036861

892.7109
G198uA
c.2